



مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية

اسم المقال: تجليات الرحلة في شعر ابن دراج القسطلبي

اسم الكاتب: د. حسناء أقدح

رابط ثابت: <https://political-encyclopedia.org/index.php/library/2770>

تاريخ الاسترداد: 2026/05/12 23:04 +03

الموسوعة السياسية هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت. لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على

info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع <https://political-encyclopedia.org/terms-of-use>

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسية مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكرية ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.



تجليات الرحلة في شعر ابن دراج القسطلبي

د. حسناؤ أقذح*

المخلص

تناول هذا البحث جانبًا وجدانيًا من حياة الشاعر ابن دراج القسطلبي، فوقف على شعر الرحلة الذي يتردد صدهاء في معظم قصائده.

تضمن البحث لمحة عن حياة الشاعر وعصره، ومفهوم الرحلة وتعريفها، ثم وقف على أسباب رحله ومراحلها، ويمضي مع الشاعر في رحلته إلى الممدوح واصفًا الغربية، والسعي على العيال، ومظاهر الرحلة التي تتجلى في تصوير مشاهد الوداع، ومعاناة الأولاد، ووصف أهوال الرحلة، والتعبير عن مشاعر الشوق اللاعج إلى الأوطان، لينتهي إلى النتائج المتوخاة من البحث.

* قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة دمشق

Travel Manifestations Ibn Darrage Alkastali's Poetry

Dr. Hasnaa Akdah*

Abstract

This research addresses the emotional aspects of the life of the poet Ibn Darrage Alkastali to highlight his travel poetry that resonates in most of his poems.

The research provides an overview of the life of the poet, the age he lived in, and the concept of travel and its definition. It highlights the poet's travels and their causes and stages. The study also discusses how the poet describes his travels and the longing to one's homeland, while toiling for one's family away from one's country. The research provides also an in-depth description of the poet's attempts to describe painful scenes of parting, farewells, the horrors of the journey and the suffering of the children who are left without the head of the family, along with longing for one's homeland.

*Faculty of Letters and Humanities, University of Damascus.

ترجمة ابن دراج:

ابن دراج، أحمد بن محمد بن العاصي بن أحمد بن سليمان بن عيسى بن دراج، يكنى أبا عمر، ويلقب بالقسطلبي نسبة إلى بلده ومسقط رأسه (قَسْطَلَّة) من أعمال جيان، التي كانت تعرف بقَسْطَلَّة دراج؛ إذ كان أجداده سادتها وحكامها، ويعود نسبه إلى قبيلة صنهاجة البربرية.

ولد ابن دراج سنة (347هـ/958م) وتوفي سنة (421هـ/1030م)، وعاش في عهد ملوك الطوائف، وكان من كتاب الإنشاء أيام المنصور بن أبي عامر وابنه¹، وقال عنه الثعالبي: "كان بصُّع الأندلس كالمتنبي بصُّع الشام، وهو أحد الفحول، وكان يجيد ما ينظم ويقول"². "وسار نظمه ونثره في الأقصي والأداني مسير الشمس"³، "وعرف شاعرًا مادحًا أكثر منه شاعرًا شاكيًا"⁴.

وقد شهد ابن دراج أحداث الفتنة القرطبية وهو في الخمسين من عمره⁵، وتأثر بها، وعانى منها، وأحدثت هذه الفتنة لديه صراعًا نفسيًا ومعاناة حقيقية، واضطرته ظروفها السياسية إلى الرحيل، فضرب في مناكب الأرض وأصقاعها، بحثًا عن مجير يرتزق من عطايها، وينفق لديه بضاعته، ويحقق عنده طموحه وآماله. فكثرت أسفاره وتقلباته كما يظهر في قوله⁶(من الكامل):

وَلَكَمْ وَصَلْتُ تَنَائِفًا بِنَتَائِفٍ حَتَّى وَصَلْتُ مَشَارِقًا بِمَغَارِبِ

سعيًا منه إلى تحقيق حلمه بماوى يضم شمله المتفرق.

1 ديوان ابن دراج القسطلبي: تج: محمود مكي، ص: 21-80.

2 يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: أبي منصور الثعالبي، تج: مفيد قميحة، ص: 2-119.

3 الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: علي بن بسام الشنتريني، تحقيق: إحسان عباس، ص: 1/60.

4 الغربة والحنين في الشعر الأندلسي: فاطمة طحطح، ص: 20.

5 تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة: إحسان عباس، ص: 237.

6 الديوان: ص: 111.

مفهوم الرحلة:

حضرت الرحلة في حياة العربي قديماً وحديثاً، وشغلت مكاناً مميزاً في ثقافته، ولم تخرج في مفهومها عن الانتقال والتحول والحركة من مكان إلى آخر، وإن تنوعت أسبابها ودواعيها. إذ تعد الرحلة "استجابة مباشرة لحوافز ودوافع محدودة تدعو بكل الإلحاح للحركة والانتقال"¹، تصل في بعض الأحيان إلى حد الضرورة.

وقد عرّف الإمام الغزالي السفر بأنه "نوع حركة ومخالطة"²، وأوضح أن "الفوائد الباعثة على السفر، لا تخلو من هرب أو طلب"³.

وتنوعت الرحل بتنوع دوافعها، وشكلت الدوافع السياسية والاجتماعية والدينية أبرزها وأهمها⁴. وأصبحت عند شعراء الأندلس ظاهرة واقعية فرضتها طبيعة الأندلس الجغرافية. وأتبع فيها الشاعر الأندلسي منهج شعراء المشرق الذين عرفوا الرحلتين البرية والبحرية على حد سواء.

أسباب رحلته:

بعد رحلة ابن دراج إلى قرطبة واستقراره فيها، شكلت فتنها وأحداثها الدافع الأكبر الذي أجبره على الرحيل والاعتراب⁵، فقد أخرجته هذه الفتنة من قرطبة، وجرفته في سيلها، وجعلته رجلاً متشرداً، كثير التنقل والارتحال، وحولته "إلى متسكع على الأبواب هارب من أشباح الجوع، ينقل معه أولاده حيثما انتقل"⁶، بحثاً عن الأمن والاستقرار والطموح، وقد وصف ابن دراج تلك الفتنة بقوله⁷ (من الكامل):

فِي جَاهِلِيَّةٍ فِتْنَةٍ عُبِدْتُ بِهَا دُونَ إِلَهِ مَضَلُّهُ الْأَرْبَابِ

1 الرحلة العربية في المحيط الهندي: صلاح الدين الشامي، الكويت، 13(4)، 1983، ص: 13.

2 إحياء علوم الدين: محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار المعرفة، بيروت، دت، ص: 2-245.

3 المصدر نفسه: ص: 2-245.

4 الرحلة في الأدب العربي - حتى نهاية القرن الرابع الهجري: ناصر عبد الرزاق الموفي، دار النشر للجامعات المصرية، ط1، 1995، ص: 32-33.

5 للتوسع في هذا الموضوع؛ انظر: الذخيرة: لابن بسام، ص: 1-33 وما بعدها.

6 تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة: إحسان عباس، ص: 236.

7 الديوان: ص: 184.

تُسْتَفْسَمُ الْأَزْلَامُ¹ فِي مُهْجَاتِنَا وَتَسِيلُ أَنْفُسُنَا عَلَى الْأَنْصَابِ
 غَيْرًا مِنَ الْأَيَّامِ أَصْبَحَ مَاؤُهَا عَوْرًا وَأَعْقَبَ صَفُوهَا بِعِقَابِ
 وَيَوَارِقًا لِلْغَيِّ أُضْرِمَ نُورُهَا نَارًا وَصَابَ غَمَامُهَا بِالصَّابِ
 فَلَهَا فَقَدْتُ النَّفْسَ إِلَّا قَدْرَ مَا أَشْجَى بِهِ لِحُلُولِ كُلِّ مُصَابِ
 وَبِهَا رَزَيْتُ الْأَهْلَ إِلَّا لَابِسًا بُوَسًا يَزِيدُ بِهِ أَلِيمَ عَذَابِي

وقد كان من شديد أثرها في نفسه أن عدّها عهد جاهلية تستقسم فيها الأزلام، وعانى الناس منها المصائب التي أدت بهم إلى التشرّد والضياع، ومألت هذه الفتنة قلوبهم قلقاً واضطراباً، دفع الناس إلى الرحيل بحثاً عن الأمن والاستقرار؛ وشكلت "البداية لمعانة ابن دراج والمنطلق لمسلسل ترحاله"².

وأذكت نار الرحيل في قلب ابن دراج سعيه على عياله، وطلب الرزق، والهرب من الظلم، وهو ما أدى إلى كثرة تنقله بين المدن والأقاليم؛ فطرق باب الملوك والأمراء عارضاً بضاعته في سبيل الارتزاق والعيش الرغيد "لعله يجد في رحابهم ما يفي بحوائجه وحاجات أسرته المادية والمعنوية"³.

مراحل رحلته:

غادر ابن دراج بلده قسطلّة متجهًا إلى قرطبة التي كانت آنذاك بلاطًا للعامريين، وأقام في أكنافهم مدة طويلة، عمل خلالها في ديوان إنشاء المنصور بن أبي عامر وابنه، ولقي ابن دراج منهما الحفاوة والتكريم.

ولما حدثت الفتنة القرطبية سنة (399هـ) بقي ابن دراج في قرطبة حتى سنة (403هـ) "وهو يعلل نفسه برجاء انتشاع الأزمة وانجلاء الفتنة"⁴، حتى ضاقت به الحال،

1 الأزلام: السهام التي كان أهل الجاهلية يستقسمون بها، مكتوب عليها أمر ونهي، وافعل ولا تفعل.

2 الغربة والحنين في الشعر الأندلسي: فاطمة طحطح، ص: 91.

3 قصيدة المديح في الأندلس: أشرف نجا، ص: 221.

4 الديوان: ص: 64.

الحال، فضرب في مناكب الأرض بحثاً عن مستقر جديد. فغادر الأندلس وعبر إلى سبتة، "وقد كانت هذه أول رحلة لابن دراج خارج حدود الأندلس وآخرها"¹، وبدأت بذلك "مصارعة أمواج البحر، ومعاناة الهجير، والحنين والحسرة الدائمة على الوطن المفقود"².

ولكن ابن دراج لم يحقق طموحه من الحموديين، فعاد إلى الأندلس قاصداً أقاليمها، وقد تردد " بين سنتي (404هـ-1014م) و (408هـ-1018م) بين المرية وبلنسية وشاطبة وطرطوشة مادحاً أمراء هذه المدن دون أن يظفر منهم بطائل"³.

ثم قدم إلى سرقسطة سنة (408هـ) قاصداً بلاط منذر بن يحيى التجيبي، "ولم يخب أمل ابن دراج في هذه المرة، فقد أتيح له في سرقسطة جو من الاستقرار لم ينعم به منذ فارق قرطبة في سنوات الفتنة"⁴.

وبقيت علاقته بحاكمها في أحسن حالاتها، إلى أن تولى يحيى بن منذر الحكم، فأصيبت هذه العلاقة بشيء من الفتور، جعل ابن دراج يغادر سرقسطة، ويتجه إلى بلاط مجاهد العامري في دانية؛ إذ رأى في مجاهد "آخر أمل له بعد أن أدركه اليأس"⁵، وبقي فيها إلى أن توفي سنة (421هـ).

تجليات الرحلة في شعر ابن دراج:

يصور ابن دراج في شعره قساوة رحله ومشاقها، ومعاناته وغربته، وضياعه وتشردّه، وتشنّت أفراد أسرته، ويصف شوقه وحنينه، وبيكي ذكرياته الزاهرة وماضيه المجيد. ونميز في رحل ابن دراج:

1- رحلته إلى الممدوح.

2- رحلة الغربية والسعي على العيال، وتتجلى مظاهرها في:

أ - تصوير مشاهد الوداع. ب - تصوير معاناة الأولاد.

1 المصدر نفسه: ص: 67.

2 الغربية والحنين في الشعر الأندلسي: فاطمة طحطح، ص: 93.

3 الديوان: ص: 68.

4 المصدر نفسه: ص: 72.

5 المصدر نفسه: ص: 78.

ت - وصف الرجل وأهوالها . ج - وصف الشوق والحنين .

تدل رحل ابن دراج على تجربة شخصية، عانى مرارتها كثيرًا، ونفت من آلامها زفرات وأنات، وتمتاز "بأنها تحمل وجهين لكل منهما أبعاده النفسية التي تمتد لتكون بعدًا إنسانيًا يتغلغل في المجتمع، وينطبق على ما تعانيه مجموعات كبيرة من النفوس البشرية"¹.

1_ رحلة ابن دراج إلى ممدوحه:

تتجلى الرحلة في شعر ابن دراج، وتعكس طابعًا إنسانيًا، وشعورًا حقيقيًا صادقًا، وغربة نفسية، مصدرها الماضي بلذته وألمه؛ لذته باسترجاع ذكرياته، وألمه بالحزن والأسى على فراق تلك المعاهد والديار، فينتقل ابن دراج على أبواب الملوك والأمراء طالبًا الأمان والرجاء، وباحتًا عن الاستقرار، وساعيًا على العيال.

فمنذ غادر قسطنطة إلى قرطبة، ووجد نفسه بعيدًا عن أهله وخلاته ووطنه، أخذ يشعر بالضيق والتشتت. ففي خطاب المنصور بن أبي عامر في قرطبة يقول²: (من البسيط)

هل أنت مُدْرِكُ آمالي فمحيها ومُبْدِلِي في الوري من دِلْتِي تيهًا؟

ففيه يرى ابن دراج بارقة الأمل، يُحيي آماله التي ماتت أو كادت، ويُبدله بالذل الذي حاصره حتى كاد يخنقه فخرًا وتيهًا يمشي به في الناس.

ويصور ابن دراج رحلته إلى المنصور ومشاقها بقوله³: (من الطويل)

رَحَلْتُ لَهَا أَدْمَاءَ⁴ وَجَنَاءَ حُرَّةً وشيكا بأويات السرور سُراها

1 قصيدة المديح الأندلسية - دراسة تحليلية: فيروز موسى، ص: 374.

2 الديوان: ص: 9.

3 المصدر نفسه: ص: 12-13.

4 أدماء: أي بيضاء، والأدمة في الناس السمرة، وفي الإبل والظباء البياض الشديد؛ والوجناء: هي الناقة التامة الخلق الغليظة لحم الوجنة.

أَشْجُ بِهَا وَاللَّيْلُ مُنْخِ سُدُولَهُ سَبَارِيْتُ¹ أَرْضٍ لَا يُزَاعُ قَطَاهَا
 وَأُحْيِي نَفُوسَ الرُّكْبِ مِنْ مَيْتَةِ الْكَرَى - وَقَدْ عَطَفَ اللَّيْلُ النَّمَامُ طَلَاهَا -
 بِذِكْرِ أَيَادِي الْعَامِرِيِّ الَّتِي طَمَتُ عَلَى نَأْيِ آفَاقِ السِّبْلَادِ مُنَاهَا
 وَقَلْتُ لِنَضْوٍ فِي الرَّمَامِ زِدِّيَّةٍ² تَشْكِي إِلَى الْأَرْضِ الْفَضَاءِ وَجَاهَا³
 عَسَى رَاحَةُ الْمَنْصُورِ تُعْقِبُ رَاحَةً وَحَتْمَ لَأَمَالِ الْعُقَاةِ عَسَاهَا

يسير ابن دراج في هذا الوصف على نمط القصيدة الجاهلية، فيذكر أنه ارتحل على ناقه وجنأ حرة، تسير ليلاً عبر صحراء شاسعة ومقفرة، يستثير بذلك عواطف ممدوحه لتخفيف أعباء هذه الرحلة وتعبها، وطلباً للأمن والاستقرار اللذين ينشدهما في ظلال المنصور العامري.

وينشد ابن دراج من رحلته القري من المنصور، فيقول⁴: (من الكامل)

فَقَطَعْتُ يَا مَنْصُورُ نَحْوَكَ نَازِعًا خُدَعَ الْمَنَى وَعَلَاتِقَ الْأَسْبَابِ
 فَرِضَاكَ تَأْمِيلِي وَقَرُبُكَ هِمَّتِي وَنَدَاكَ مَحْيَايَ وَحَمْدُكَ دَابِي
 وَقَدْ احْتَلَلْتُ لَدَيْكَ أَمْنَعَ مَعْقِلٍ وَحَطَّطْتُ رَحْلِي فِي أَعْرَجِ جَنَابِ

يذكر ابن دراج أن رضا المنصور والتقرب منه سبب رحلته، مما حدا بالمنصور أن يجعله في أمنع المعازل وأعزها مكانة.

ولبت ابن دراج في بلاط المنصور أمداً غير قليل، حتى أطاحت به الفتنة الشنعاء سنة (399هـ)، وانقلبت الدويلات على قرطبة، وحكمها محمد بن عبد الجبار أمير

1 سباريت: الأرض التي لا يبيت فيها شيء؛ انظر: لسان العرب، مادة (سبرت)

2 الرذية من الأبل الناقة المهزولة.

3 الوجا: الحفى، وهو أن يشتكي البعير باطن خفه.

4 الديوان: ص: 16-17.

المؤمنين آنذاك، فانتاب ابنَ دراج إحساساً بالضياح فضلاً عن إحساس الاغتراب، يدل عليه قوله في مخاطبة ابن عبد الجبار¹: (من الكامل)

وَأَنَا الشَّرِيدُ وَظَلُّ عِرْكَ مَوْتِي وَأَنَا الأَسِيرُ وَفِي يَدِيكَ فِكَائِي

فراحته كما كان يأمل في ظل هذا الأمير. لكنه لم يجد ما يسد حاجته. فبدأ مسلسل رحله، فاتجه إلى سبته بلاط بني حمود، ووصف رحلته إلى ممدوحه بقوله²:
(من المتقارب)

مَهَارِي عَلَيْهَا رِحَالُ الرَّحِيلِ	خَطِييَاتِ خُطْبِ النَّوَى وَالْمُهُورِ
وَعَذْرَاءُ نُصِّتْ بِنَصِّ الذَّمِيلِ	فَمِنْ حُرَّةٍ جُلَيْتْ بِالْجَلَاءِ
يَسِيلُ عَلَى كُلِّ خَدٍّ أَسِيلِ	وَلَا حَلْيَ إِلَّا جُمَانُ الدُّمُوعِ
بَشَقِّ الحُزُونِ ³ وَوَعَثِ السُّهُولِ	فَبَدَّلْنَ مِنْ بَعْدِ خَفَضِ التَّعِيمِ
بِهَوْلِ السُّرَى تَحْتَ لَيْلِ طَوِيلِ	وَمِنْ قِصْرِ اللَّيْلِ تَحْتَ الحِجَالِ ⁴
صِلَاءِ القُلُوبِ ⁵ بِحَرِّ الغَلِيلِ	وَمِنْ عَلَلِ المَاءِ تَحْتَ الظَّلَالِ
تَلَطَّيَ أَفْحِ بِنَارِ المَقِيلِ	وَمِنْ طَيْبِ نَفْحِ بَنُورِ الرِّيَاضِ
سُورَى لَيْلَهَا بَيْنَ ذَيْبِ وَغُولِ	وَمِنْ أُنْسِهَا بَيْنَ ظُنُورِ ⁶ وَتَرِبِ
تَلَقَّيَ الخُطُوبِ بِصَابِرِ جَمِيلِ	وَمِنْ كُلِّ مَرَأَى مُحِبِّاً جَمِيلِ

1 الديوان: ص: 53.

2 المصدر نفسه: ص: 78-79.

3 الحزون: جمع (الحزن): ما غلظ من الأرض؛ انظر: لسان العرب، مادة (حزن).

4 الحجال: واحدها (الحجلة): بيت كالحقة يتخذ للعروس، يزين بالثياب والستور والأسرة.

5 صلاء القلوب: شدة المعاناة وقساوتها؛ والغليل: شدة الحر والعطش.

6 الظنر: المرضعة لولد غيرها، أو العاطفة عليه.

لَعَلَّ عَوَاقِبَهُ أَنْ تَسْتَمَّ فَيُهْدَى الْغَرِيبُ سَوَاءَ السَّبِيلِ

وأظهر ما يدل على معاناة ابن دراج وما يعتلج في نفسه من قلق واضطراب، تلك المفارقات التصويرية التي تكشف عن معاناة كامنة غائرة في نفسه، وتعبير عن تغير حاله، وتصوير رحيله الدائم. فصور ابن دراج في هذه المفارقات الذاهلات من النساء، وما أصابهن من الهلع والخوف، فذكر قصر الليل في الحجال، وعلل الماء، والظلال الوارفة، وطيب نفح الرياض، والأنس، والوجه الحسن، وجمال الطبيعة، وقابلها بصورة الرحيل والاعتراب، فذكر طول ليل الرحيل ومشاقه، وصلاء القلوب، والحر الغليل، والتلطي بنار المقييل، ثم السرى بين الغول والذئب. وذلك للدلالة على المشقة التي يكابدها، وشدة معاناتهن. وعكس ابن دراج من خلال هذه المفارقات التصويرية الخوف الكامن في نفسه. وثنائية الرحلة/الاستقرار، وثنائية التوتر/الراحة. وأمعن في الوصف أملاً بالحظوة والمكانة عند ممدوحه، فأفاض عليه بما هو أهله.

ومثل هذه الرحلة التي يبث فيها شعره آلامه وآماله، ويندفع المتلقي لها إلى مواساته، كثير. ومن ذلك رحلته إلى بلنسية، فيمدح ضابط شاطبة، ويصور رحلته بقوله¹: (من الطويل)

أَرْحَلِي مَحْمُولٌ عَلَى الْعَتَقِ النَّجْبِ² يَوْمُكَ أَمْ سَارِ عَلَى الْقَتْمِ³ النَّكْبِ؟
 يَقُودُ بِهَا هَادٍ إِلَى الْأَمْرِ وَالْمُنَى وَيَحْدُو بِهَا حَادٍ عَلَى الْخَوْفِ وَالرُّعْبِ
 طَوَتْ فَلَوَاتِ الْأَرْضِ نَحْوَكَ وَأَنْطَوَتْ كَبَدْرٍ إِلَى مَحَقٍ بِشَهْرٍ إِلَى عُقْبِ
 تَعَاوَزَهُنَّ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ مَثَلَمَا تُرْدُ بِأَيْدِي الرُّسْلِ أَجْوِيَةَ الْكَثْبِ
 قَلِيلٌ إِلَى صُبْحٍ، وَصَبْحٌ إِلَى دُجَى وَكَزْبٌ إِلَى رَوْحٍ، وَرَوْحٌ إِلَى كَرْبِ

1 الديوان: ص: 95-96.

2 العتق النجب: كرام الأبل وأحسنها.

3 القتم: ما كان لونه أغبر ضارباً إلى سواد، أو حمرة.

وسَهْلٌ إِلَى حَزْنٍ، وَحَزْنٌ إِلَى فَلَا
وَيَقْضِي مَنْ أَطْرَافَ الْهَشِيمِ تَبْلُغًا
وَأَجْلُو لَهَا سِيمَاكَ فِي أَوْجِهِ الشُّهْبِ
هَلُمَّ إِلَى الْإِكْرَامِ وَالْمَنْزِلِ الرَّحْبِ

فيه يصور ابن دراج رحيله على أجود أنواع النوق وأمنعها وأقدرها، سيرها متواصل، يصلن فيه الليل بالنهار، من عسر إلى يسر، ومن ارتفاع إلى انخفاض. كان البر والبحر وأهوالهما فيه هاجسين كبيرين لابن دراج، عكسا توترًا شديدًا وخوفًا، برزا في ألفاظه المتضادة (البر/البحر، ليل/صبح، كرب/روح، سهل/حزن، سهب/بحر) التي تعكس الهموم المحيطة به ثنائية الماضي/الحاضر التي مزقت نفسه كل ممزق بين جمال ماضيه وقسوة حاضره. وأبرز هذا التضاد الجانب النفسي الفلق والمضطرب لابن دراج، الذي كان يمني نفسه بالخير الذي سيحظى به عند ممدوحه، والروضة الغناء التي يحلم بها، وهنائه في المشرب العذب، والحفاوة والتكريم في المنزل الرحب؛ وينظر إلى تجلية همومه وإيواء أطفاله، والاستقرار في أمن وأمان تحت راية الممدوح.

إلا أنه لم يجد لدى ممدوحه ما يحقق طموحه وآماله، فشعر بغربة مكانية، وتابع رحيله بحزن وألم شديدين، باحثاً عن عز وجاه مفقودين، وأمن واستقرار طالما حلم بهما بعد خروجه من قرطبة، فقطع البحار والقفار، وعانى من قسوتهما ما عانى، أملاً في تحقيق العيش الرغيد لأسرته، فحط رحاله في سرقسطة بلاط منذر بن يحيى التجيبي، الذي منى نفسه لديه بالأمل المنشود، وعبر في رحلته إليه عن رغباته وأمانيه، قال¹:

(من الكامل)

بُشْرَاكَ مِنْ طُولِ التَّرْحُلِ وَالسُّرَى
صَبْحَ بَرْوَجِ السَّفْرِ لَاحَ فَأَسْفَرَا

1 الديوان: ص: 124 - 125.

مِنْ حَاجِبِ الشَّمْسِ الَّذِي حَجَبَ الدَّجَى فَجُرًّا بِأَنْهَارِ النَّدى مُتَفَجِّرًا

وابن دراج يستبشر برحلته إلى بلاط التجيبين الخير والنعيم، ويشير إلى الخير في رحابهم، فقد أسفر الصباح بعد ليل بطيء الكواكب، طويل العذاب والسرى، فلا رحيل ولا سرى، ولا قلق ولا اضطراب، بل أمن وأمان، وراحة واستقرار؛ إذ يرى في كرم المنصور منذر وعطائه، حاجبًا عن الترحال والسفر. ويدل معجمه اللغوي على هذه البشارة بألفاظ (بشراك، صبح، أسفر، الشمس، حجب الدجى، فجرًا، الندى)، التي تحمل في طياتها روحًا جديدة تنهي معاناة ترحاله وألمه.

ووجد ابن دراج في سَرَفُسطَة الاستقرار والأمان، فلبث فيها غير قليل، وعبر عن ذلك بقوله مخاطبًا منذر بن يحيى¹: (من الكامل)

وَوَجَدْتُ عِنْدَ يَدَيْكَ سَدًّا مَفَاقِرِي² وَسَأَلُو أَحْزَانِي وَبُرَّءَ مَصَائِي

وقوله في مدحه على جزيل إنعامه وإيوائه³: (من الكامل)

وَوَجَدْتُ ظِلُّكَ بَعْدَ يَأْسِ تَقَلُّبِي وَطَنَ الرَّجَاءِ وَمَنْزِلَ الْإِكْرَامِ

وَأَتَعَلَّمُ الْآفَاقَ أَنَّكَ مُنْعِمٌ حَقًّا وَأَنْتَ شَاكِرُ الْإِنْعَامِ

ومشهد رحلة ابن دراج في شعره إلى الممدوح كثير الدوران، يصف فيه ما كابده في طريق رحلته، وبصور أهوال سفره، ومعاناته النفسية، وفيه يخاطب راحلته لتجد في سيرها إلى الممدوح، ومنه قوله في مقدمة مدحته في المؤتمن عبد العزيز بن أبي عامر⁴: (من الوافر)

أَهْلِي قَدْ أَنْى لَكَ أَنْ تُهْلِي إِلَى صَوْبِ الْغَمَامِ الْمُسْتَهْلِ

1 الديوان: ص: 172.

2 المفاقر: وجوه الفقر وأشكاله. وسدّ مفاقره؛ أغناه، وسدّ وجوه فقره.

3 المصدر السابق: ص: 215-216.

4 المصدر نفسه: ص: 473-474.

فَمُدِّيَ طَرْفَ نَاطِرَةٍ تَرِينِي تَمَكَّنَ مَعْرِسِي فِيهِ وَأَصْلِي

يطلب ابن دراج من راحلته أن تجدد في سيرها، وتجتاز كل المخاطر والمهامه، لتصل إلى الخير الذي لا ينكفي، والعتاء الذي لا ينقطع، فذاك ممدوحه الذي يقول فيه:

هُوَ الظَّلُّ الَّذِي قَارَعَتِ عَنْهُ حَصَى الرَّمْضَاءِ دَامِيَةَ الأَظْلِّ

وهذا موعدُ الأملِ المنادي سُرَاكِ سُرورُهُ أَلَا تَمَلِّي

ويزمّدُ في هجيرِ القَيْظِ جفني فأجعلُ من سوادِ الليلِ كُخْلِي

لكيما تعلّمي في أيِّ مأوى من الملكِ الرفيعِ وضعتُ رَحْلِي

وعلى أن ابن دراج لم يظفر عند ممدوحه بما كان يمّني نفسه به، فأحس بالاضطراب والقلق، وأصيب كما يرى الدكتور إحسان عباس بانهيار معنوي تام¹، كما يبدو في قوله في مدح ابن باق²: (من المتقارب)

فناداك من غمراتِ التّناسي وناجاك في ظلماتِ الخُطوبِ

بما خُطَّ للجارِ وابنِ السبيلِ وأوجبَ للمستضامِ الغريبِ

ففي ذلك يبلغ ابنُ دراج مرحلةً شديدة من الألم النفسي، تظهر في سوداوية ألفاظه (غمرات، ظلمات، الخطوب، المستضام، الغريب)، التي تدل على تشاؤمه، فيطلب حق الجار وابن السبيل والمستضام.

وحظ ابن دراج رحاله في آخر مطاف حياته في بلاط مجاهد العامري في دانية سنة (419هـ)، ويرى محقق ديوانه أن "شيئاً خطيراً هو الذي دفع ابنَ دراج إلى هذه

1 انظر: تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة: إحسان عباس، ص: 231.
2 الديوان: ص: 468-469.

الرحلة، وهو قد ناهز السبعين من عمره¹. وفي تلك الرحلة يخاطب ممدوحه ابن مجاهد بقصيدة مطلعها²: (من الطويل)

إلى أيِّ ذكِرٍ غيرِ ذكِرِكَ أرتاحُ ومن أيِّ بحرٍ بعدِ بحرِكَ أمتاحُ

فهو "يرى في مجاهد آخر أمل له بعد أن أدركه اليأس"، ثم يصف رحلته ومشاقها ومخاطرها³:

إليها حَتَّتِي حادِثاتُ كأَنَّها بَواريحُ يَحْدُوهُنَّ بَنَحٌ⁴ وأَبْرَاحُ

على عَولِ بحرٍ من هُمومٍ عُبَابُهُ بِرَحْلِي إلى عَولِ المتالفِ طَواخُ

إذا رامَ تَغْرِيقِي فَأُلجَّ⁵ وَعَمْرَةَ وإنْ مُدَّ في ظِمْمِي فَأَلَّ⁶ وَضَحَضَاحُ⁷

وحَسْبِي منه في الهَواجِرِ والسُّرى جَناحُ لهُ من حُسنِ ظَنِّي وإنْجَاحُ

هكذا تحدث ابن دراج عن قساوة حاضره، وعرض أحداث رحلته، وصور مشاقها، وكانت "ثنائية البر والبحر - في رؤيته - وحدة وعاملاً مشتركاً من عوامل اضطهاده: البحر والبر، هذا لإغراقه، وذاك لإحراقه، وهما معاً يتعاورانه جذباً وتناوباً"⁸.

وأسدل الستار على حياة ابن دراج في الأندلس الذي رجح د. محمود مكي وفاته بدانية سنة (421هـ)⁹، بعد أن أمضاها متنقلاً من بلد إلى آخر، باحثاً عن مأوى وأمل ومستقبل، بعد أن "طوّحت به تلك الفتنة الشنعاء، واضطرتته إلى النجعة، فاستقرى ملوكها

1 الديوان: ص: 78.

2 المصدر نفسه: ص: 478.

3 المصدر نفسه: ص: 481.

4 البرح: الشر والعذاب الشديد.

5 اللج: معظم الماء حيث لا يدرك قعره ولج البحر عرضه.

6 الأل: ما يبدو كالسراب في أول النهار وآخره.

7 الضحضاح: الماء القليل.

8 الغربية والحنين في الشعر الأندلسي: فاطمة طحطح، ص: 127.

9 الديوان: ص: 79-80.

أجمعين، بين الجزيرة الخضراء، فسَرَفُسطَة من الثغر الأعلى، يهز كلاً بمديحه، ويستعينهم على نكبتة، وليس منهم من يصغي له، ولا يحفظ ما أضيع من حقه"¹.

2_ رحلة الغربة والسعي على العيال:

الغربة بمتعلقاتها ومقتضياتها من وداع، ومعاناة أهل وأولاد، ومقاساة أهوال الارتحال، واضطراب نار الشوق والحنين؛ قطعةً من صميم الرحلة، لا تكاد تخلو منها مجتمعة أو متفرقة؛ إن اجتمعت في نسيج واحد فذاك، وإن تخلف شيء منها فلسبب يفسر ذلك الغياب. ولذلك بدت هذه المشاهد ترصع شعر ابن دراج الذي رصد رحله هنا وهناك، مجتمعة أو متفرقة.

أولاً - تصوير مشاهد الوداع:

عُني شعر الرحلة في ديوان ابن دراج بمشاهد وداع أهله التي شكلت مقدمات لقصائده. فعندما غادر مسقط رأسه إلى بلاط المنصور بن أبي عامر في قرطبة، وصف مشهد وداع زوجته وابنته ذات الثماني بقوله²: (من الطويل)

ولله عزمي يوم ودَّعْتُ نحوه	نُفوساً شجاني بيئها وشجاها
وربَّاةٍ خدرٍ كالجمان دموعها	عزيرٌ على قلبي شطوط نواها
وبنتٍ ثمانٍ ما يزال يروعي	على النأي تذكاري خفوق حشاها
وموقفها والبين قد جدَّ جدُّه	منوطاً بحبلي عاتقي يداها
تشكى جفَاء الأقرين إذا النوى	ترامت برحلي في البلاد فتأها
وأقسم جود العامري لي رجعتن	حفيًا بها من كان قبل جفاها

1 الذخيرة: ص: 60/1/1-61.

2 الديوان: ص: 13-14.

يصور ابن دراج في هذه الأبيات موقفاً مؤثراً، تشترك فيه الإنسانية جميعاً، وهو مشهد الوداع وألمه، والفرق وصعوبته، فنفسه تنفطر أسى ولوعة، ويعزيها بما يمنيها؛ بأنه سيجد لدى المنصور ما يحقق آماله وطموحه في الرخاء والسيادة. يتذكر مشهد وداع زوجته، ويثيره بكأؤها، فيصف دموعها ويشبهها بحبات الجمان النفيسة؛ ويصور محبتها وعزتها في نفسه، ويتأثر لبعدها. ويصور ابنته ذات ثمانية الأعوام وحالتها عند فراق والدها، وقد تعلقت يداها بكتفه، متخيلاً إياها تشكو له حالهم بعد رحيله وجفاء أقاربه عنهم. فيثور في قلبه حزن وألم عميقان، تؤججهما نار الغربة والبعاد.

وهذا المشهد قرين الرحيل، يتكرر كلما قرر الرحيل. يصور فيه وداع أسرته، ويصف يوم رحيله بالصدع الذي فرق شمله، يقول¹: (من الطويل)

ويا رَبَّ يَوْمَ بَانَ صَدْعُ سَلامِهِ بَصَدْعِ النَّوى أَفْلاذَ قَلْبِي إِذْ بانُوا
 نُودَّعُهُمْ شَجْوًا بِشَجْرِ كَمِثْلِمَا أَجَابَتْ حَفيفَ السَّهْمِ عَوْجاءُ مِرْزانُ
 وَيَصْدَعُ مَا ضَمَّ الْوَداعُ تَفَرُّقًا كما انشَعَبَتْ تَحْتَ الْعواصِفِ أَغْصانُ
 إِذا شَرَّقَ الحادي بِهِمْ غَرَّيْتُ بنا نَوَى يَوْمُها يومانِ والحِينُ أَحيانُ
 فلا مُؤنِسَ إِلا شَهيقًا وَزَفْرَةً ولا مُسْعِدًا إِلا دُموعًا وَأَجْفانُ

وفي هذا النص تتضعض نفس ابن دراج، ويتملكها الضعف والانكسار، عند اجتماع أسرته لوداعه، وتفرقهم حين رحيله كنتشعب أغصان الأشجار عند هبوب العواصف. تبرز ذلك الألفاظ الدالة على الإحساس العميق بالفرق والوداع، وعلى الانكسار، وتضعض النفس. (صدع، النوى، بانوا، شجو، تفرق، انشعبت، شرق، غرب، شهيق، زفرة، دموع أجفان)، ومفتاح ذلك كله استعمال (رب) الدالة على التكثرير إحساساً بتعاضم الحدث وتكائنه وشديده أثره في النفس. ويعكس ابن دراج بذلك صورة حزينة ومؤلمة، تفيض بالعواطف الإنسانية من الصدع والحزن (الشجو) والتفرق والدموع، وتشير

1 الديوان: ص: 89-90.

إلى انهياره في موقف وداع أسرته. وعلى هذا النحو كان واقع كثير من الأسر الأندلسية آنذاك. مشاهد وداع تبرز كما يقول الدكتور أحمد هيكل ملامح من شخصية ابن دراج التي تتجلى "بإحساسه العميق بالأسرة، وتعلقه الشديد بالزوجة والأولاد"¹.

وعندما يحين موعد السفر، يُبين ابن دراج عن وداع زوجته وطفلها الرضيع بلوحة جميلة، ويصور لحظة الوداع وأنات زوجته وآهاتها بقوله²: (من الطويل)

وَلَمَّا تَدَانَتْ لِلوَدَاعِ وَقَدْ هَفَا بَصَابِرِي مِنْهَا أَنْتَ وَرَفِيرُ
تَنَاشِدُنِي عَهْدَ الْمَوَدَّةِ وَالْهَوَى وَفِي الْمَهْدِ مَبْغُومُ النَّدَاءِ صَغِيرُ
عَيْي بِمَرْجُوعِ الْخَطَابِ وَلِحْظُهُ بِمَوْقِعِ أَهْوَاءِ النَّفُوسِ حَيِيرُ

ففي هذه اللوحة يصور ابن دراج حال زوجته النفسية التي تملكها الحزن واستبد بها، فلا تستطيع أن تبوح إلا بالأنات والزفرات التي تحمل في طياتها كثيراً من المعاني المبعدة عن السفر، وتتأشده بعهد ودها وحبها البقاء؛ إلا أنه يصمم على السفر؛ ويصور أيضاً طفله الرضيع في سريرته، الذي يمثل جزءاً من هذا المشهد الحزين، وكأنه يستعطفه بتمتماته غير المفهومة، ونظراته المدركة الخبيرة، لكن لا مجيب، إذ يتركها ويمتطي جناح السفر أملاً منه أن يكون رحيله عوناً له على ظروفه الصعبة وحاجته الملحة وسعيه على عياله. وتطل من وراء الكلمات في هذا المشهد حال ابن دراج النفسية، وحزنه على فراق أهله ووطنه.

ويتردد في مشهد الوداع حديث الشاعر إلى زوجته التي تعاتبه على كثرة أسفاره، فيقول من قصيدة يمدح فيها لبيبا العامري³: (من الكامل)

هَلْ تَنْثِينُ غُرُوبَ دَمْعِ سَاكِبٍ مَنْ شَامَ بَارِقَةَ الْغَمَامِ الصَّائِبِ

1 دراسات أدبية: أحمد هيكل، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1980، ص: 254.

2 الديوان: ص: 298.

3 المصدر نفسه: ص: 109-110.

أَبَتِ الْعَزِيمَةُ مِنْ فَوَادٍ جَامِدٍ أَنْ تَسْتَقِيدَ لِمَاءِ جَفْنٍ ذَائِبٍ
 مَنْ تَرْمِيهِ حَذَقُ الْمَكَارِمِ تُصْبِيهِ عَنْ مُصِيبَاتِ أَحِبَّةٍ وَحَبَائِبِ
 فَفِرَاقُ رِيَّاتِ الْخُدُورِ مُكْفَرٌ بِلِقَاءِ نَجْمِ الْمَكْرُمَاتِ الثَّقَابِ
 قَالَتْ وَقَدْ مَزَجَ الْوَدَاعُ مَدَامِعًا بِمَدَامِعِ وَتَرَائِبًا بَتْرَائِبِ:
 أَتَفَرَّقُ حَتَّى بِمَنْزِلِ غُرْبَةٍ؟ كَمْ نَحْنُ لِلْأَيَّامِ نُهْبَةٌ نَاهِبِ!

ففي هذا المشهد يذكر ابن دراج حواراً مع زوجته، ويصور دموعها الساكبة، ويطلب إليها باستفهام يحمل التوتر والقلق أن تكفكف دمعها (هل تثنين غروب دمع ساكب)، ثم يتغلغل إلى أعماق نفسه في البيت الثاني، متجلياً بقوة العزيمة، واصفاً نفسه برياطة الجأش (فواد جامد)، لا يلتفت لبقاء زوجته، وجاء بالصفة على وزن فاعل للدلالة على قوة عزمته. ويرى ابن دراج أن فراق الزوجة أمر صعب؛ ولكنه يمني نفسه بلقاء ممدوح عالي المنزلة، يصفه بالنجم الثاقب. ثم ينقل استفهام زوجته الذي يحمل معنى العتاب (أتفرق حتى بمنزل غربة؟)، وفي هذه الصورة إحساس متعاطف بالحالة، ظلمة فوقها ظلمة، وفرقة في بطن غربة. وتعجبها المتكاثر بكم الخبرة (كم نحن للأيام نهبَةٌ ناهب)، ويصف موقف وداعها، وذرف الدموع، والتحام الصدور، مظهرًا التوجع والتفجع لرحيله، ومبررًا محاولة زوجته النيل من عزمته، وثنيه عن السفر.

ثانياً - تصوير معاناة الأولاد:

كان من شأن ابن دراج في شعر الرحلة والغربة أن يصور أولاده في مشاهد مؤثرة نابضة بالألم، تعكس طابعاً إنسانياً، وتدلل على معاناة قوم ألمت بهم الفتنة، وأحدقت بهم الاضطرابات، فعانوا آلامها، وتحملوا أحداثها، وانعكست معاناتها على أولادهم، الذين تشردوا في الأرض بحثاً عن الأمن والاستقرار، يقول ابن دراج¹: (من الطويل)

1 الديوان: ص: 194.

وَأَوْلَاهُمْ لَمْ أَبْدِ صَفْحَةَ مُعْدِمٍ وَلَمْ أَسْمِعِ الْأَعْدَاءَ دَعْوَةَ مُضْطَرِّ

فابن دراج هنا يعترف أن السعي على عياله، وتلبية احتياجاتهم، كان سبباً من أسباب الرحيل، والتنقل من مكان إلى آخر، وطرق باب الملوك والأمراء.

وهذا ابن دراج يصور، في واحدة من رحله، سنة من أبنائه، مزقتهم رياح الغربة والتشرد، فهاموا على وجوههم بحثاً عن الأمان والاستقرار، يقول من قصيدة مدح بها القاسم بن حمود العلوي في قرطبة¹: (من الكامل)

فِي سِتَّةٍ ضَعُفُوا وَضَعَّفَ عَدُوَّهُمْ حَمَلًا لِمَبْهُورِ الْفُؤَادِ مُبَلِّدِ
شَدَّ الْجِلَاءُ رِحَالَهُمْ فَتَحَمَّاتٍ أَفْلَادُ قَلْبٍ بِالْهَمُومِ مُبَدِّدِ
وَحَدَّتْ بِهِمْ صَعَقَاتُ رَوْحٍ شَرَدَتْ أَوْطَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ كُلِّ مُشَرَّدِ
لَا دَانَتْ خِذْرَهُمْ يُرَامُ لَوَجْهَهَا كِنٌّ² وَلَا ذُو مَهْدِهِمْ بِمَهْدِ
عَادُوا بَلْمَعِ الْآلِ فِي مَدِّ الضُّحَى مِنْ بَعْدِ ظِلِّ فِي الْقُصُورِ مُمَدِّدِ
وَرَضُوا لِبَاسِ الْخَوْفِ يَنْهَكُ مِنْهُمْ بِالْبُؤْسِ أَبْشَارَ النَّعِيمِ الْأَرْغَدِ
وَاسْتَوَطَّنُوا فَرَعًا إِلَى بَحْرِ النَّدَى أَهْوَالِ بَحْرِ ذِي غَوَارِبِ³ مُزِيدِ

فهذا النص يعكس معاناة ابن دراج لتشرد أولاده، وهمه لرحيلهم الذي أثقل كاهله، بعدما حدثت بأولاده صعقات هول وروع شردتهم، وقلبت حياتهم ألماً، وقد زاد ابن دراج ذلك بياناً بمفارقات تصويرية بين ماضي أبنائه الجميل وحاضرهم القاسي المولم (عادوا بلمع الآل في مدّ الضحى، من بعد ظلّ في القصور ممدد)، فرضوا بحياة البؤس والشقاء

1 الديوان: ص: 74.

2 الكن: كل ما يرد الحر والبرد من الأبنية والمساكن.

3 غوارب البحر: أعالي أمواجه.

أملًا بمستقبل نعيم منشود، وركبوا البحر، وتحملوا مخاطره وأهواله وتلاطم أمواجه، أملًا
بمكان آمن يشعر بالطمأنينة والعيش الرغيد.

وها هو ذا ابن دراج في أبيات أخرى يصور أولاده وحالهم في البحر والبر بقوله¹:
(من الوافر)

وَكُلُّهُمْ كَيُوسُفَ إِذْ فَدَاهُ مِّنَ الْقَتْلِ التَّغْرِبُ وَالْجَلَاءُ
وَإِنْ سَجَنَ حَوَاهُ فَكَمْ حَوَاهِمَ سَجُونُ الْفُلْكِ وَالْقَفْرِ الْقَوَاهُ
وَكَمْ لَيْسُوا مِنَ التُّعْمَى بُرُودًا² جَلَاهَا عَنِ جَسُومِهِمُ الْجَلَاءُ
وَقَادَهُمُ الْكِتَابُ إِلَى مَلِيكَ تَقَاضَاهُمْ لِيَمْنَاهُ الْقَضَاءُ
فَكَمْ عَسَفُوا إِلَيْهِ لُجَّ بَحْرِ تَلَاقَى الْمَاءُ فِيهِ وَالسَّمَاءُ
وَجَابُوا نَحْوَهُ مِنْ لُجِّ قَفْرِ يَجَاوِبُ جِنَّهُ فِيهِ الْحُدَاءُ
وَكَمْ صَحِبُوا نُجُومَ اللَّيْلِ حَتَّى جَلَاهَا فِي عُيُونِهِمُ الضَّحَاءُ

فابن دراج يرى في تغرب أبنائه وتشردهم تغرب النبي يوسف عليه السلام عن
أهله وسجنه ظلمًا واعتداءً، بل يعدّ الأهوال التي تعرضت لها أسرته بحرا وبراً أمر من
الأهوال التي تعرض لها سيدنا يوسف عليه السلام في سجنه.

وابن دراج إذ وصف طول سفر أبنائه وأهواله ومخاطره، وصور شدة تلاطم
الأمواج (تلاقى الماء فيه والسَّمَاءُ)، وخوفهم من السير في الصحراء (يجابوبُ جِنَّهُ فِيهِ
الْحُدَاءُ)، وسراهم في الليل ومرافقتهم نجوم السماء (وَكَمْ صَحِبُوا نُجُومَ اللَّيْلِ)، كان يقدم
حقيقة نفسه وقلقها وخوفها ومعاناتها في هذه الرحل الشاقة. ومع ذلك كان يواسي نفسه،

1 الديوان: ص: 328-331.

2 البرود: ثياب مخططة يلتحف بها.

ويؤملها بما يتطلع إليه من رحلته. وهذا يعكس الوعي الاجتماعي الذي تبدى عند ابن دراج بعدما ذاق مرارة الغربة، وشطف الحياة.

ثالثاً - وصف الرجل وأهوالها:

وصف ابن دراج رحله برًا وبحرًا، وأكثر الحديث عنها، وأبرز في وصفه آلامه النفسية التي عكست همومه ومعاناته وخوفه وقلقه. فرأى في الرحيل المخاض الذي ليس لمولده رضاع¹: (من الوافر)

مخاضٌ ما لمولده رِضَاعٌ وتَرَحَّالٌ أَمْرٌ مِنَ الْفِطَامِ

وابن دراج إذ يصف رحيله بالمخاض الذي يعكس آلامًا نفسية وجسدية، وبالمولود الذي فطم قبل أوانه، يعبر عن حالة من الفقد استبدت به وهيمنت عليه، ويبث لواعج نفس معذبة ذاق مرارة الغربة وآلامها، واكتوت بلحظات البين والوداع.

ورأى الشاعر في الرحيل صورة الموت التي برزت في قوله²: (من الكامل)

ودنا به أَجَلُ الرَّحِيلِ كَأَنَّهُ أَجَلُ الْمَمَاتِ دَنَا بِهِ الْمَقْدَارُ

فصورة الرحيل عند ابن دراج مقرونة بصورة الموت، ففيهما البعد والفرق والألم والحسرة، والرحيل يحدق به من كل صوب، فيبدو لذلك كالموت يدنو منه ليجهز عليه.

ويصف ابن دراج بعض أسفاره وصفًا يظهر المعاناة الشديدة، وتحمل الأهوال، فيقول من قصيدة مدح بها لبيبا العامري في طرطوشة³: (من الكامل)

نَعَبَ الْغَرَابُ بِهَا فَطَارَ بِأَهْلِهَا سِرْبًا عَلَى مِثْلِ الْغُرَابِ النَّاعِبِ

فِي غَوْلٍ ذِي لُجَجٍ لَيْسَنَ دِياجِيًّا تَرَكَ الْحَيَاةَ لَنَا كَأَمْسِ الدَّاهِبِ

1 الديوان: ص: 231.

2 المصدر نفسه: ص: 156.

3 المصدر نفسه: ص: 110.

قاسِيئُهُنَّ غَوَارِبًا كَغَيَاهِبٍ¹ وَسَرِيئُهُنَّ غَيَاهِبًا كَغَوَارِبِ
تَجَلُّوْ ظِلَامَ اللَّيْلِ قَبْلَ صَبَاحِهِ بَأْظَى زَفِيرٍ أَوْ بِرَأْسِ شَائِبِ

ففي هذا النص وظف ابن دراج دالة ثقافية معروفة، ترتبط بالرحيل والاعتراب، وتقتربن بالبين والتشاؤم، وهي الغراب، ليعلن بداية رحلة شاقة أثارت هواجس الخوف والقلق. ووصف سيره وصحبه في دياجي المشقة والظلمة، فتارة يغطيهم موج البحر، وتارة سواد الليل، فيقضون الليل أنة وزفيراً خوفاً من واقعهم الأسود، وقلقاً من المستقبل المجهول. ويعكس المعجم الشعري لابن دراج في هذا النص (الغراب، الناعب، غول، لجج، دياجي، غوارب، غياهب، ظلام، الليل، لظى، زفير) مدى عمق معاناته. بألفاظه المتشحة بالسواد، والحافلة بالأسى والحزن.

ويتساءل ابن دراج لشديد معاناته عن مآل رحلته وموعد انتهاء حالة التعرب والتشرد والضياع، والتخلص من الهموم والكروب قائلاً في مخاطبة منذر بن يحيى التجيبي²: (من المتقارب)

بِسَيْرٍ يَقُولُ الصَّافَا الصُّمُّ مِنْهُ: أَمَا لِلْحَوَادِثِ قَلْبٌ رَحِيمٌ؟!
أَمَا يُسْتَقَالُ الزَّمَانُ الْكُوُودُ؟ أَمَا يُسْتَكْفُ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ؟

وإذا كانت الصخور الملساء (الصفا الصم) على صلابتها، وهي التي ربما كانت معادلاً موضوعياً أو رمزياً للتحدي والتحمل، تضيق بما يجري في هذه الرحلة، وما يحيط بابن دراج وصحبه، ضيقاً جعل ابن دراج يعبر عنه بالسؤال المستاء المتيرم، فما بالك بابن دراج؟. أسئلة يطرحها ابن دراج يعبر بها عن نفسيته القلقة والمضطربة، ومعاناته الكبيرة من التنقل والترحال والغربة المرة. وترى في تكرار (أما) إيقاعاً موسيقياً مثيراً، تردد

1 الغيب من الليل: الشديد الظلمة. (ج) غياهب.
2 الديوان: ص: 272.

صداه في البيتين الأول والثاني، وجلب انتباه السامع، وشكل جزءاً من الهندسة العاطفية للعبارة، حاول فيه أن ينظم كلماته ويقيم أساساً عاطفياً بين جملة¹.

ثم صور ابن دراج رحلته الشاقة في الصحراء، ومعاناته، وتحمل الحر والقر، ووصف ناقته السريعة، وألقى على ذلك بعد عناء الرحيل شيئاً من التفاؤل، وبصيص الأمل، فقال²: (من المتقارب)

كَأَنَّ رَوَاجِلَنَا فِي ضِحَاهُ صَوَادِي سَمَامٍ³ حَدَاها السَّمُومُ
وَفِي كُلِّ لَيْلٍ تَعَشَّى دُجَاهُ فَنَامَ وَلِكِنَّهُ لَا يُنِيمُ
نِجَاءً⁴ تَمَنَّى ثِمَارَ النَّجَاةِ وَمِنْ دُونِهِنَّ رِجَاءَ عَقِيمِ
وَكَمْ أَعْقَبَ الظَّمَّ جَسِيَّ جُمُومٍ وَكَمْ عَاقَبَ الجَدْبَ رِيَّ جَمِيمِ
وَفِي اسْمِ المَظْفَرِ فَأُلُّ الحَيَاةِ لِيَحْيَا الغَرِيبُ بِهِ والمَقِيمِ

وفي هذا التصوير تتجلى ملامح القصيدة الجاهلية، إذ يصف ابن دراج رحلته إلى الممدوح، ويشبه معاناة رواجه وإحساسها بالعطش في الضحى (كَأَنَّ رَوَاجِلَنَا فِي ضِحَاهُ) بطائر السموم الذي تلفحه رياح السموم بلظاها (صَوَادِي سَمَامٍ حَدَاها السَّمُومُ)، ثم يصف سيره في ظلمة الليل ومشاقه ومخاطره، مظهرًا خوفه وقلقه، وقد استحكم اليأس عليه، وخارت عزائمه، لكن أمله في ممدوحه (المظفر)، والراحة المنشودة بعد عناء الرحلة، ستحقق على يدي ممدوحه؛ لأنه عون على نوائب الدهر. وقد صورت هذه الرحلة "مأساة

1 انظر: قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة: ص: 277.

2 الديوان: ص: 272-273.

3 السمام: ضرب من الطير نحو السمائي؛ والصوادي: العطاش.

4 النجاء: جمع نجو (يفتح فسكون)، وهو السحاب الذي أراق ماءه ثم مضى، أو لعله - كما يقول محقق الديوان - جمع ناج أو ناجية وهي الناقة السريعة تنجو براكبها، أي تسرع.

الشاعر المتكسب، الذي أمضته ظروف الحياة، وغلبته أحزانها، وأرهقته متاعبها، فناء بكله، وعجز عن القيام بأعبائها¹.

ومن تلك الرحل التي وصفها ابن دراج، وأبرز الأهوال والمشاق التي صادفها فيها، رحلته إلى المنصور بن أبي عامر في قرطبة، التي يقول فيها²: (من الطويل)

ولو شاهدتني والصواخذ³ تلتظي عأبي ورقراق السراب يُمورُ
 أسلط حَرَ الهاجراتِ إذا سَطَا عأى حُرَّ وجَهي والأصيلُ هَجِيرُ
 وأسْتَشِقُّ النُّكْبَاءَ⁴ وَهَي بَوَارِحَ وَأَسْتَوِطِي الرُّمُضَاءَ⁵ وَهَي تَقُورُ
 ولو بَصُرْتُ بي والسرى جُلُّ عَزَمَتِي وَجَرَسِي لِجَنَانِ الفِلاةِ سَمِيرُ
 وَأَعْتَسِفُ المَوْمَاءَ⁶ فِي عَسَقِ الدُّجَى وَلِلْأَسَدِ فِي غَيْلِ الغِيَاضِ رَزِيرُ
 لَقَدْ أَيَقَنْتُ أَنَّ المُنَى طَوْعُ هَمَّتِي وَأَنْتِي بَعْظُفِ العَامِرِيِّ جَدِيرُ

وفي هذه الأبيات يجمع ابن دراج بين التصوير والانفعال، فيصور المشاهد التي تصادفه في رحلته تصويرًا يعكس معاناة المسافر النفسية وقلقه وخوفه، وهو يريد أن يطبع في وجدان المتلقي وفكره صورة واضحة مما انطبع في نفسه⁷؛ إذ يصور سفره ليلاً ليلاً ونهاراً، ويجعلنا نمضي معه في رحلته، ونعاني معاناته، فيذكر اشتداد حر الشمس ولهبها، الذي يعكس تالأؤ السراب وتحركه، والرياح النكباء التي تستنشق، ومسيره على الرمال الحارة، في صور شعرية تعبر عن قسوة رحيله ومعاناته الشديدة.

1 قصيدة المديح الأندلسية - دراسة تحليلية: فيروز موسى، ص: 375.

2 الديوان: ص: 299-300.

3 الصواخذ: شدة الحر.

4 النكباء: ريح انحرقت ووقعت بين ريجين كالصبا والشمال. (ج) نُكْبُ.

5 الرمضاء: الأرض التي حميت من حر الشمس.

6 الموماء: الفلاة التي لا ماء بها ولا أنيس.

7 انظر: النقد الأدبي الحديث: محمد غنيمي هلال، ص: 421.

ومن تلك الرحل تلك الرحلة البحرية التي يصفها ويصور أهوالها بقوله¹: (من الطويل)

وَفِي طَيِّ أَسْمَالِ الْعَرِيبِ غَرَائِبٌ سَكَنَ شَغَافَ الْقَلْبِ شَيْبٌ وَوِلْدَانُ
يُرَدِّدْنَ فِي الْأَحْشَاءِ حَرَّ مَصَائِبِ تَزِيدُ ظَلَامًا لَيْلَهَا وَهِيَ نِيرَانُ
إِذَا غِيضَ مَاءَ الْبَحْرِ مِنْهَا مَدَدْنَهُ بِدَمْعِ عَيْونِ يَمْتَرِيهِنَّ أَشْجَانُ
وَإِنْ سَكَنْتَ عَنَّا الرِّيحُ جَرَى بِنَا زَفِيرٌ إِلَى ذِكْرِ الْأَجْبَةِ حَنَّانُ
يُقْلَنُ - وَمَوْجُ الْبَحْرِ وَالْهَمُّ وَالذُّجَى تَمَوْجُ بِنَا فِيهَا عَيْونٌ وَأَذَانُ -
أَلَا هَلْ إِلَى الدُّنْيَا مَعَادٌ وَهَلْ لَنَا سِوَى الْبَحْرِ قَبْرٌ أَوْ سِوَى الْمَاءِ أَكْفَانُ؟

يعكس هذا النص لحظة ابن دراج الوجودية، فيصف شدة الأهوال، وتلاطم الأمواج، وغيض ماء البحر، ويصورها كما يراها بنفسه المضطربة القلقة، التي تبرز تشاؤمه، ويصور انهماك الدموع بمفارقة الأهل والخلان والديار تصويراً يدل على ذعره وخوفه. ويربط بين مشاق الرحلة والجانب الإنساني؛ (إِذَا غِيضَ مَاءَ الْبَحْرِ، مَدَدْنَهُ بِدَمْعِ عَيْونِ)، (وَإِنْ سَكَنْتَ عَنَّا الرِّيحُ، جَرَى بِنَا زَفِيرٌ إِلَى ذِكْرِ الْأَجْبَةِ). ولعله يقصد بهذه الرحلة كما يقول الدكتور أشرف نجا: "رحلة الحياة الشاقة التي خاض غمارها، وبخاصة في أثناء الفتنة"².

فابن دراج كما يقول الدكتور أحمد هيكل: "كثير الحديث عن قلقه وضياعه وسوء حاله،... لم ينس أنه ذل من بعد عز، واحتاج بعد غنى، واضطر وهو الشاعر الكبير وسليل السادة من حكام قسطنطة إلى أن يقصد الناس ليبيع شعره بقوته وقوت أولاده"³.

1 الديوان: ص: 87-88.

2 قصيدة المديح في الأندلس، قضاياها الموضوعية والفنية: أشرف نجا، ص: 222.

3 الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة: أحمد هيكل، ص: 318.

وقد أصاب ابن دراج أيام إقامته بسرُّسطة يسارًا وثروة، "فقد أُتيح له فيها جو من الاستقرار لم ينعم به منذ فارق قرطبة في سنوات الفتنة"¹، فتحدث في قصائده عما أصاب من الغنى والوجاهة، وكيف تبدلت حياته تبدلاً كاملاً، نحو قوله في مدح المنصور منذر بن يحيى التجيبي حين قدومه عليه²: (من الكامل)

وَلَقَدْ وَرَدْتُ مِيَاهَ مَارِبٍ حُفًّا وَأَسْمَتُ خَيْلِي وَسَطَ جَنَّةِ عَبْرَا
وَنَظَّمْتُ لِلْغَيْدِ الْحِسَانِ قَلَائِدًا مِنْ تَاجِ كِسْرَى ذِي الْبِهَاءِ وَقَيْصَرَا
وَحَلَلْتُ أَرْضًا بُدِّلَتْ حَصَبًا ذَهَبًا يَرِفُ لِنَاطِرِي وَجَوْهَرَا
كَلًّا وَقَدْ آنَسْتُ مِنْ هُودٍ هُدًى وَلَقَيْتُ يَعْزُبَ فِي الْفَيْوَلِ وَحَمِيرَا
وَأَصَابْتُ فِي سَبَأٍ مُورَتْ مُلْكِهِ يَسْبِي الْمُلُوكَ وَلَا يَدِبُ لَهَا الضَّرَا³
فَكَأَنَّمَا تَابَعْتُ تَبَعَ رَافِعَا أَعْلَامَهُ مَلِكَا يَدِينُ لَهُ الْوَرَا
وَالْحَارِثَ الْجَفْنِيَّ مَمْنُوعَ الْحَمِي بِالخَيْلِ وَالْأَسَادِ مَبْذُولَ الْقَرِي
وَحَطَّطْتُ رَحْلِي بَيْنَ نَارِي حَاتِمِ أَيَّامٍ يَقْرِي مُوسِرًا أَوْ مُعْسِرَا
وَلَقَيْتُ زَيْدَ الْخَيْلِ تَحْتَ عَجَاجَةٍ يَكْسُو غَلَائِلَهَا الْجِبَادَ الضَّمْرَا
وَعَقَدْتُ فِي يَمَنِ مَوَائِقَ دِمَّةٍ مَشْدُودَةَ الْأَسْبَابِ مُوثَّقَةَ الْعَرِي

1 الديوان: ص: 72.

2 المصدر نفسه: ص: 128-130.

3 " يدب له الضراء ويمسي له الخمر"، مثل يضرب للرجل يختل صاحبه.

الضراء: الشجر الملتف في الوادي، وقال ابن الأعرابي الضراء: ما انخفض من الأرض.

الخمر: ما وراك من جرف أو حبل رمل.

انظر: مجمع الأمثال: لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، تح: محمد محيي الدين عبد

الحميد، دار المعرفة، بيروت، ج2، ص: 417.

وَحَطَّطْتُ بَيْنَ جِفَانِهَا وَجُفُونِهَا حَرَمًا أَبَتْ حُرْمَاتُهُ أَنْ تُحْفَرَ

وفي هذا النص يتكئ ابن دراج على موروثه التاريخي؛ إذ استدعى أمكنة وشخصيات تاريخية لها مكانتها واسمها الذي يوحى بدلالات ثابتة لدى المتلقي. فكأن الشاعر في سعته ويساره ووجاهته ومكانته لدى هذا الممدوح، قد ورد المياه الصافية الجمّة كماء مأرب الذي مثل أيام الازدهار، وكأن الشاعر يرى جنات مأرب قبل اندثارها¹، وشعر عند ممدوحه بسعادة غامرة أحسنه وسط جنة عبقر. وأصاب من اليسار كثيرًا، وكأنه نظم قلائد ثمينة للحسان من تاجي كسرى وقبصر، ورأى في موطن ممدوحه أرضًا حصابًاؤها ذهب وجوهر، وتمتع بالهدوء والطمأنينة، وتغنى بنسب ممدوحيه، فأنس بقوم هود، وأصاب من ملك سبأ وتبع، ولقي الحارث الجفني، وقد نزل بكرم فائق ككرم حاتم الطائي. وكان ممدوح ابن دراج يُحيي بأعماله سيرة أجداده اليمينيين وشمائلهم، ويتضح ذلك في قول ابن دراج لممدوحه²: (من الكامل)

تَلُكَ الْبُحُورُ تَتَابَعَتْ وَخَلَفَتْهَا سَعِيًّا فَكُنْتَ الْجَوْهَرَ الْمُتَخَيَّرَا
وَلَقَدْ نَمَوُوكَ وِلَادَةً وَسِيَادَةً وَكَسَوُوكَ عِرًّا وَابْتَنَوْا لَكَ مَفْخَرَا

لقد منح ابن دراج كلماته في هذا النص دفاء ما فقدته، وماء ما غص به، وأضفى عليها لون السعادة، فقد أشعرته إقامته بسرْفُسطة بجو من الاستقرار المكاني الذي فقدته في حياته، وأسقطه على استقرار الأماكن التاريخية وحضارتها، وقصد من استدعاء تلك الشخصيات التي اشتهرت بالشجاعة والكرم والجود إسباغ صفاتهم على ممدوحه وإحياء سيرة أجداد ممدوحه وشمائلهم. وكأن ابن دراج - كما يرى محقق الديوان - "رأى في حياته في ظل التجبيين صورة - مصغرة بلا شك - من حياته الماضية في رحاب العامريين، حين كان شاعر دولتهم (الرسمي) وكاتب الرسائل في ديوانهم"³.

1 انظر: آثار البلاد وأخبار العباد: تصنيف زكريا بن محمد القزويني، دار صادر، بيروت، ص: 60.

2 الديوان: ص: 130.

3 الديوان: ص: 72.

رابعاً - وصف الشوق والحنين:

كان شوق ابن دراج وحنينه إلى موطنه مظهرًا من مظاهر رحلته وقطعة من نسيجها، فيها يصف غرامه الملتهب وشوقه الشديد للديار، لكونه عاش محنة الاعترا ب القسري عن موطنه، وقديماً قال الجاحظ: " من علامة الرشد أن تكون النفس إلى مولدها مشتاقاً، وإلى مسقط رأسها تواقاً"¹، ومما صور به ابن دراج هذا الاشتياق قوله:²(من البسيط)

لله من وَطَنٍ قَلْبِي لَهُ وَطَنٌ يَبْلَى وَأَبْلَى وَمَا تَبْلَى فَجَائِعُهُ
لا يَسَامُ الدَّهْرُ من شَوْقٍ يُطَالِعُنِي مِنْهُ وَمَنْ زُفْرَةٍ مِنِّي تُطَالِعُهُ

والنزعة الإنسانية في شعر ابن دراج تتجلى أظهر ما تتجلى بصور الحنين والشوق للوطن، والتلذذ باستعادة الذكريات الماضية التي يعل بها نفسه، وتثير شجوه، وتزيد ألمه بفراق الوطن، والأسى على مغادرته، فمكانته عظيمة (الله من وَطَنٍ)، وألم فراقه يتجلى في كلمة البلاء التي تجسد ألم الرحيل.

ويشتد به الحنين عندما يتذكر قرطبة الغراء مدينته قائلاً³: (من الكامل)

وَأَجْنَحُ لِقُرْطُوبَةٍ فَعَانِقُ تُرْبَهَا عَنِّي بِمِثْلِ جَوَانِحِي وَتُرَائِي
حَيْثُ اسْتَكَانَتْ لِلْعَفَاءِ مَنَازِلِي وَهَوَتْ بِأَفْلَاحِ الْفَوَادِ نَجَائِي

وإذا ذكر ابن دراج موطنه قرطبة، فإنه يقصد بها المعاهد التي قضى فيها حياته، ومواطن الطبيعة الجميلة التي تهيجه وتثير أحزانه، فيحن ويشتاق إليها. وكلما بعدت المسافة عن وطنه، تملكه الشوق والحنين، وازداد لهيبهما، فيقول بألم مُمضٍ⁴: (من المتقارب)

1 رسائل الجاحظ، رسالة في الحنين إلى الأوطان: لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ص: 385/2.
2 المصدر السابق: ص: 138.
3 الديوان: ص: 167.
4 المصدر نفسه: ص: 271.

لقد شَطَّ رَوْضُ إِلَيْهِ أَجْنُ وَغَارَتْ مِيَاهُ إِلَيْهَا أَهْيَمُ

وهكذا، كان ابن دراج؛ إذ أمضى حياته بعيداً عن وطنه، معللاً نفسه بالذكري واسترجاع الماضي المجيد، يحرقه ألم الشوق، ويكويه السعي وراء الرزق والأمن.

نتائج البحث:

- لم يخالف ابن دراج منهج القدماء في وصف الرحلة؛ فقد صور الأهوال والمتاعب التي صادفته، وأطنب في شرحها، وعكس في تصويره نفسيته المضطربة التي تقاذفتها هموم الحياة كما تقاذفت أمواج البحر والفيافي أهله وأحبته، ليضع عصا الترحال في فناء الممدوح.
- ركز في تصوير معاناته على الجوانب الإنسانية والاجتماعية، ولاسيما معاناة ابنته الصغيرة؛ ليستدر عطف الممدوحين، ويستثير شفقتهم.
- أطبق التشاؤم على نفسية ابن دراج، وانعكس الحزن الأسود على شعره، فاتشح معجمه الشعري بالسواد، وكثرت ألفاظ النفي في قصائده نحو:
فليس لنا إلى وطنٍ مَرَدٌّ ولا في دار قومٍ من مقام
فالفتنة القرطبية التي اكتوى بناها أتت على الأخضر واليابس، وشردته والأندلسيين، فضربوا في آفاق الأرض بحثاً عن الأمن والاستقرار.
- أكثر الشاعر في شكايته من الزمن ومصائبه من صيغ الجمع نحو: (دواهٍ، مهالك، صواخذ، الهاجرات... الخ)؛ ليوضح البون الشاسع بين استقراره في الأمس وتشرده في الحاضر. بل إن الشاعر بات يجد الأنس في المهالك من كثرتها (وتؤنس بالمهالك كل نفس)، (وأنست بالأهوال)، وهي صور فنية معبرة لا تخلو من الطرافة والغرابة في الوقت نفسه.
- إن رحلة ابن دراج أشبه برحلة تيه لا نهاية لها، فهو يدور وأسرته في حلقة مفرغة، كل مصيبة تسلمه إلى مصيبة أخرى أشد خطورة من سابقتها، وكل رحلة مرّة تسلمه إلى رحلة مغايرة أشد مرارة منها، وهذا ما يدل على ضعف الأمل في نفسيته المتهالكة.
- لقد حاول الشاعر أن يفلت من ريقه اليأس، ويهرب من واقعه الأليم إلى صومعة الخيال متمسكاً بالأمل والنجاة من الموت النفسي الذي أحاط به من كل صوب، إلا أنه سرعان ما كان يستيقظ من حلمه ليصطدم بصخرة الواقع، ويتجرع مرارة الحياة.

المصادر والمراجع

- 1- آثار البلاد وأخبار العباد: تصنيف زكريا بن محمد القزويني، دار صادر، بيروت.
- 2- إحياء علوم الدين: محمد بن محمد أبو حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
- 3- الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة: د. أحمد هيكل، دار المعارف، القاهرة، 1985.
- 4- تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1973.
- 5- دراسات أدبية: د. أحمد هيكل، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1980.
- 6- ديوان ابن دراج القسطلبي: حققه وعلق عليه وقدم له د. محمود مكي، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، ط1، 1381هـ/1961م.
- 7- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: علي بن بسام الشنتريني، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1417هـ/1997م.
- 8- الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري): د. ناصر عبد الرزاق الموافي، دار النشر للجامعات المصرية، ط1، 1415هـ/1995م.
- 9- رسائل الجاحظ، رسالة في الحنين إلى الأوطان: لأبي عثمان عمرو ابن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الجيل للطباعة، د.ت.
- 10- الغربة والحنين في الشعر الأندلسي: فاطمة طحطح، منشورات كلية الآداب بالرباط، المغرب، ط1، 1993.
- 11- قصيدة المديح الأندلسية - دراسة تحليلية: د. فيروز الموسى، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق.
- 12- قصيدة المديح في الأندلس، قضاياها الموضوعية والفنية - عصر الطوائف: د. أشرف نجا، د.ت.
- 13- قضايا الشعر المعاصر: نازك الملائكة، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1978.

14- لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط6، 1417هـ / 1997م.

15- النقد الأدبي الحديث، تأليف د. محمد غنيمي هلال، دار العودة، بيروت، د.ط، 1986.

16- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، لأبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري، شرح وتحقيق د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ / 1983م.

فهرس الدوريات والمجلات

1- الرحلة العربية في المحيط الهندي: د. صلاح الدين الشامي، مجلة عالم الفكر، الكويت، 13(4)، 1983.